نظرية النحو العربي في كتاب سيبويه واسهامها في علم اللغة العام

الدكتور
محمد كاظم البكّاء
كلية العلوم الإسلامية ـ جامعة بغداد

وجدت المناهج الحديثة سبيلها إلى حقول المعرفة المختلفة ، وقد ادرك الباحثون ان في التراث العربي الاسلامي مساقط الضوء التي نتبصر بها ما بلغته الدراسات الحديثة ، وثمة اتجاهان لمعرفة موقع التراث من الحضارة الانسانية واسهامه فيها :

اولهما : ان نجري الموازنة بين المسائل والافكار التي يقع فيها التوارد بين ما في التراث وما لدى الاوربيين وغيرهم من المحدثين وبذلك نجعل ما لدى المحدثين معياراً للتقدم والتطور ... وفي تقديري ان هذا الاتجاه في البحث ينطوي على خطورة علمية تنأى عن الموضوعية ، لانا نعرب لهم ابتداء عن الاعتراف بتقدمهم وتفوقهم ، هَبْ ان ذلك صحيح في ميادين المعرفة التطبيقية ولكن لا يطرد ذلك في العلوم النظرية عامة والعلوم اللغوية خاصة ...

ان اجراء هذه الموازنات الجزئية والتماس الاشباه والنظائر بين ما في تراثنا العربي الاسلامي وما لدى المحدثين من الغربيين وغيرهم ينتهي بنا في سياق المقولة البلاغية التي تقر أنّ وجه الشبه في المشبه به اوضح واتم إلى ان الذي بلغه الاوربيون يعد غاية البحث وتمامه .

اما الاتجاه الثاني في التعرف على موقع تراثنا العربي الاسلامي من الحضارة الانسانية هو ان نعرف خصائص المعرفة في هذا التراث ومزاياها التي تفرد بها وقد صدق اثرها الواضح او انا نحتمله في تطوير المعرفة الانسانية لنعلن عندئذ ان في تراثنا مزايا لم تبلغها الدراسات لدى الغربيين او غيرهم وبذلك نقلب طرفي الموازنة والمشابهة ليكون ما في التراث العربي الاسلامي هو معيار الموازنة ووجه المشابهة فنحفظ لتراثنا استقلاله وتميزه .

وقد اخترت الاتجاه الثاني ولم اكلف النفس جهداً كما يفعله اكثر الباحثين في عقد المشابهة واجراء الموازنة بين ما في تراثنا العربي الاسلامي من الدراسات اللغوية وما لدى الاوربيين وغيرهم . والسؤال الاهم هو ما الذي بلغه الاوربيون في دراسة علم اللغة لنجعلهم اساساً للموازنة والمشابهة ؟

ان الذي عليه البحث في تاريخ الدور اللغوي وتطوره يؤكد ان الدراسة اللغوية في اوربا ما زالت في البدء وان تاريخها يبدأ من القرن التاسع عشر قال دي سوسير رائد علم اللغة الحديث في اوربا :

«ان علم اللغة الصحيح الذي يضع الدراسات المقارنة في موضعها المناسب تعود جذوره إلى دراسة اللغات الرومانسية (الفرنسية ، والايطالية ، والاسبانية ، والبرتغالية ، والرومانية) واللغات الجرمانية ، ويعود تاريخ دراسة اللغات الرومانسية التي بدأها (دياز) بكتابه (قواعد اللغات الرومانسية) إلى الاعوام ١٨٣٦ ــ ١٨٣٨ ، وقد ساعدت هذه الدراسات على اقتراب علم اللغة

من هدفه الحقيقي المنشود» (١) . كما ان البحث في تاريخ علم اللغة في اوربا يؤكد ان مناهج اللغة التي قامت في الغرب حديثاً ما زالت تسترشد بمناهج العلوم الحديثة فتأثرت بها تأثراً واضحاً يدل على ذلك ما وجدناه عند (تشومسكي) مثلا وقد اعتمد المنطق الرياضي . وقد كشف (جان بياجيه) النقاب عن تأثر دي سوسير نفسه — وهو الاب الحقيقي للدراسات الحديثة المعاصرة — بعلم الاقتصاد قائلا : «تأثر سوسير في جزء من الهامه بالاقتصاد الذي كان في عصره» (٢) ثم ان (ليفي شتراوس) احد شيوخ البنيويين المعاصرين هو عالم اجتماعي وهذا يعني ان الدراسات اللغوية الحديثة في اوربا قد تأثرت بمناهج العلوم التطبيقية والتجريبية (٣).ويرى الدكتور علي عبدالواحد وافي ان تأثر سوسير نفسه بالعلوم الاجتماعية قد جنبه الصواب ، فهو يقول :

«وقد بالغ جماعة من العلماء في تقدير هذه الاثار حتى كادوا ينكرون ان لغير الظواهر الاجتماعية اثراً في شؤون اللغة ، ومن اشهر افراد هذه الطائفة العلامة السويسري فرديناند دوسوسور ومذهبهم هذا يجانب جادة القصد من بعض الوجوه ... فقد رأينا ان قسطاً غير يسير من ظواهر اللغة ترجع اسبابه إلى عوامل جغرافية ، وقسماً كبيراً منها ترجع اسبابه إلى عوامل جسمية فيزيولوجية او نفسية فردية» (٤) .

وما زال علم اللغة الحديث في اوربا يحث الخطى في البحث عن سبيله حتى النصف الثاني من القرن الحالي الذي شهد ظهور كتاب (توم تشومسكي) بعنوان (التراكيب النحوية) عام ١٩٥٧م وفيه ثورة على المنهج والمفاهيم التي سادت

(١) دي سوسير : علم اللغة العام ، ٢٢ .
(٢) جان بياجيه : البنيوية — ترجمة عارف وبشير— ٦٤ ، ٦٥ .
(٣) اديث كيرزويل : عصر البنيوية — ترجمة جابر عصفور— ١٧ .
(٤) د. علي عبدالواحد وافي : علم اللغة ، ٢٤٢ ، ٢٤٣

النصف الاول من هذا القرن (١) ويتعقبه آخرون ، قال «اديث كيرزويل» في كتابه (عصر البنيوية) .

«لقد انتهى عصر (البنيوية) في باريس تقريباً ، ولكن الفرضيات البنيوية مازالت تتخلل الفكر الفرنسي وتسهم في صياغة (مابعد البنيوية) »(٢) .

فمن الذي اسهم في ارساء البحث اللغوي ودراسة علم اللغة العام ، وهل يصح ان ننسب ذلك الى الاوربيين ودي سوسير نفسه المتوفى عام ١٩١٢م يقول: «مازالت المسائل الجوهرية لعلم اللغة العام تنتظر حلاً» (٣) ان في علماء الغرب حاجة الى ان يبدأوا من حيث انتهى علماء النحو العربي ، وقد تنبه على هذه الحقيقة بعض الاوربيين ومنهم المستشرق الفرنسي «جيرار تروبو» الذي يرى ان النظام العربي النحوي يحتل محلاً بارزاً بين النظم النحوية الكبرى في العالم من اجل موقعه بين النظام اليوناني في الغرب ، والنظام الهندي في الشرق ، وان من الطبيعي ان يتنبه المستشرقون عليه ليدرسوا نشأته وتطوره (٤) وعندما نلفت الانظار الى نظرية النحو العربي تشرئب الاعناق الى القرن الثاني الهجري لنقرأ كتاب سيبويه اقدم وثائق ذلك العصر التي وصلت الينا وهو يمثل خلاصة الفكر النحوي لاوائل النحاة ، قالت الدكتورة خديجة الحديثي :

«ولقد تكلمنا على منهج الكتاب ومادته لنبين عقلية سيبويه التنظيمية اولاً ، ولنوضح ماوصلت اليه الدراسات النحوية ومنهج التأليف فيها وابوابها ومادتها من اكتمال ونضج على ايدي هؤلاء النحاة البصريين ...» (٥) .

---

(١) انظر : نايف خرما ، اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، ١١٣ .
(٢) اديث كيرزويل : عصر البنيوية —ترجمة جابر عصفور — ، ١٣
(٣) دي سوسير : علم اللغة العام ٢٣ .
(٤) جيرار تروبو : نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه ، ١٢٥ .
انظر د. خديجة الحديثي : المدارس النحوية ، ٤٠ .
(٥) د. خديجة الحديثي : المدارس النحوية ، ١٠٨ .

وقد وجد الباحث ان الكلام عن كتاب سيبويه انصرف كثيراً الى نظام اللغة ومبانيه ومصطلحاته،وكان ذلك محور البحث ايضاً لدى الباحثين الذين دافعوا عن اصالة النحو العربي ومنهج المستشرق«ليتمان»فذكر اقسام الكلمة ووازنها بما في الفلسفة اليونانية من مباني المفرد وانتهى الى انها اصطلاحات عربية ماترجمت ولا نقلت (١) وكذلك كان صنيع المستشرق الفرنسي «جيرار تروبو» وهو يحصي مافي كتاب سيبويه من المباني والمصطلحات والمفاهيم التي تتصل بدراسة نظام اللغة في الكتاب ... والحق ان ثمة جانباً مهماً في دراسة كتاب سيبويه تكشف عن اصالة النحو العربي وتضع الكتاب في موضعه المتقدم من البحث اللغوي فذلك هو منهج الكتاب الذي تتضح اهميته في علم اللغة العام واسهامه في رفد الدراسات اللغوية ، وقد تنبه على هذا الجانب المستشرق الانكليزي (كارتر) الذي كان لي حظوة مراسلته وانا ادرس «منهج كتاب سيبويه» في مرحلة الدكتوراه فكتب الي يشجعني على الكتابة عن منهج الكتاب الذي يعظم في نظرهم وارشدني الى بحثه« عشرون درهماً في كتاب سيبويه » ومن يتدبر هذا البحث القيم ينته الى ماانتهى اليه صاحبه اذ يقول :

«يجب ان نزيد انطباعنا وضوحاً بان (الكتاب) اعظم عمل من حيث الترابط المنطقي والتناسق» (٢) .

---

(١) محاضرات (ليتمان) نقلا عن المدارس النحوية للدكتورة خديجة الحديثي ، ٤١ .

(2) G. Carter, "Twenty Dirhams" In Ketab Of Sibawaih, BSOAS 35 (1972), 495 – 496.

انظر : المورد ، المجلد ١٦ ، العدد الاول ١٩٨٧م ، ١٢٠ .

(عشرون درهماً في كتاب سيبويه ، ترجمة وتعليق الدكتورين عبداللطيف الجميلي وحاتم الضامن) .

ما منهج سيبويه في دراسة اللغة ؟

سلك سيبويه في دراسة اللغة طريقة التحليل والتركيب معاً ، لانه استطاع ان يكشف لنا عن الوحدات والعلاقات الاساسية اي انواع الكلم والمعاني النحوية كما استطاع ان يكشف عن النظام النحوي للغة ولا يتم ذلك الا بطريقة البحث التي تتسم بالتحليل والتركيب ، جاء في (منطق اللغة) : «هذه الطريقة التي سنسعى في تطويرها في هذه المقالة تجمع بين التركيب والتحليل معاً ، فهي تكشف لنا عن الوحدات والعلاقات الاساسية بتحليل تركيب اللغة في اجزائه ، وتبني لنا انظمة مكونة من افكار ومبادىء ومقاييس علميـــة دقيقة» (١) وقد تمثل لنا «فندريس» هذه الطريقة في دراسة اللغة وهو يصدر عن مقولة (نحن نفكر بجمل) فاوضح ان الفعل العقلي الذي تمثله الجملة يقع في عمليتين هما تحليل الجمل إلى العناصر التي تمثل المعاني المفردة ثم عملية تأليفها ، وقد اشار الاقدمون إلى طريقة سيبويه في التحليل والتركيب فقال الصفار في باب المسند والمسند اليه : ان قلت : «ما الذي اراد في هذا الباب وما ثمرته ؟ قلت : لما حصر (الكلم المجردات) في الاسم والفعل والحرف حصر (المركبات) هنا في المسند والمسند اليه» (٢) وقد تنبه بعض المستشرقين على منهج سيبويه في جانبه التحليلي فقد اقرت المستشرقة (موزل) في اطروحتها «المصطلح النحوي عند سيبويه» ان «تقسيمات سيبويه لاقسام الكلام من حيث انتسابها إلى باب الاسم . مشابهة لطريقة التصنيف عند اتباع منهج التحليل إلى المؤلفات المباشرة» (٣) وقد اغرى منهج سيبويه المستشرق الانكليزي (كارتر)

---

(١) د. ياسين خليل : منطق اللغة ، ٥ ، ٦ .

(٢) الصفار : شرح كتاب سيبويه (مخطوط) ، ٢٤ .

(3) U.Mosul: Die Sytaktische Termidnlogic Bei Sibawaih PM 13.

لعقد اطروحته التي تقدم بها إلى جامعة اكسفورد عام ١٩٦٨ على « مبادىء التحليل النحوي عند سيبويه» (١) .

وما الخصائص المنهجية في دراسة النحو العربي لدى سيبويه ؟

في منهج الكتاب خصائص عادت على دراسة اللغة العربية والكشف عن قواعدها بنتائج منهجية وعلمية تسهم في تصنيف ابواب النحو العربي تصنيفاً منطقياً سليماً على غير ما نجده عند النحاة المتأخرين (٢) ... ولكن الذي يعنينا الان تلك الخصائص المنهجية التي يفاد منها في دراسة علم اللغة العام والبحث عن المشترك في دراسة اللغات :

اولا — الكشف عن المستويات النوعية للغة :

قال سيبويه :

«هذا باب الاستقامة من الكلام والاحالة : فمنه مستقيم حسن ، ومحال ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وما هو محال كذب» (٣) .

وقد عني سيبويه بهذا الاتجاه من التقويم النحوي فشاعت في الكتاب مصطلحات التقويم النحوي نحو قوله : (جيد) و (قبيح ضعيف) و (ردىء) و (خبيث) وعلى هذا نجد كلامه على تحديد مستوى الاسلوب من جودة او قبح او كثرة او قلة يساوي دلالة على صحة الاسلوب من حيث مراعاته لقواعد اللغة ، وهذا يعني ان هناك اسلوبين لدراسة الاساليب اللغوية .

الاول : المستوى الصوابي(خطأ او صواب) وهو المستوى الفني الذي يعبر عن صحة الاسلوب واستقامته حيث ينأى عن الخطأ في ضوء قواعد اللغة .

---

(1) G. Carter: Sibawaihi's Principles of Grammatical Analysis.
انظر : د. نهاد الموسى ، نظرية النحو العربي ، ٣١ .

(٢) د. محمد كاظم البكاء : منهج كتاب سيبويه ، ٥٠٢ .

(٣) سيبويه : الكتاب ١/٢٥ ٢٦ هـ ، ١/٨ب .

الثاني: المستوى البلاغي (حسن أو قبيح) وهو المستوى الذي يعبر عن تفاعل الاساليب التي استقامت صحيحة متوخياً بها بلاغة التعبير الادبي (١) .

وهذا التحليل النوعي لمستويات اللغة لم ينتبه اليه علماء اللغة الغربيون فيما وقفت عليه ، وانما الذي وجدته في (كتاب علم اللغة العام) لدى سوسير ان ثمة فرقاً بين اللغة وهي مجموعة من الاصوات والصورة الكتابية للغة ، ويفهم من دراسة الموضوع المذكور ان الصورة الكتابية للغة هي التي تمثل (اللغة الادبية) اذ يقول « ومما يزيد من هذه الاهمية التي لاتستحقها الكتابة هي اللغة الادبية التي كتبت بها المعاجم وكتب النحو ، ويتعلم الاطفال في المدارس من الكتب عن طريقها» (٢). وقد اراد ههنا بالصورة الادبية المستوى المستقر الثابت الذي يحفظ للغة رسمها وقواعدها ، اذن فالتحليل اللغوي لمستويات اللغة لديهم يقع في نوعين : هما المستوى الثابت المستقر الذي تمثله الصورة الكتابية للغة والآخر هو المستوى المتطور للغة الذي تمثله اللغة الصوت (٣) ، وهذا يعني انهم لم يدق النظر لديهم على ماوجدناه في منهج الكتاب ليفرقوا بين (المستوى الصوابي) و (المستوى البلاغي) فهما لديهم وجه واحد للصورة الكتابية للغة، وهذا يؤدي بالضرورة الى انكار التفاوت الواسع بين اللغة التي كتبت بها مسرحيات شكسبير وما يكتبه الاطفال في كراريسهم فهما معاً يمثلان اللغة في ثبات قواعدها واستقرار اساليبها . والخطر الاشد في ذلك انهم يسعون الى تحرير علم اللغة من الكلمة المكتوبة (٤)وهذه الخطورة تكمن في عدم اليقين من القدرة على دراسة النظام اللغوي مادامت اللغة الصوت في تطور مستمر.

(١) د. محمد كاظم البكاء : منهج كتاب سيبويه ، ٢٣٥ ، وما بعده .
(٢) دي سوسير : علم اللغة العام (ترجمة الدكتور يوئيل) ، ٤٤ .
(٣) دي سوسير : علم اللغة العام ، ٤٦ .
(٤) المصدر السابق ، ٥١ .

ثانياً — الكشف عن المستويات التحليلية للغة :

تنبه صاحب الكتاب من قبل الى المستويات التحليلية للغة وهي :

— الأصوات : اي مايقع موضوعاً لعلم الاصوات (Phonetics) وعلم وظائف الاصوات (Phonology) .

— بناء الكلمة وبناء الجملة : اي مايقع موضوعاً لعلم النحو والصرف او علم الصيغ والنظم .

— المعاني : وهو الذي يقع موضوعاً لعلم الدلالة او علم دراسة المعنى(١) قال الدكتور محمود حجازي في (علم اللغة العربية) : «اطلق علماء اللغة على دراسة بنية اللغة من جوانبها الصوتية والصرفية والنحوية في التراث العربي اسمين اثنين هما علم النحو وعلم العربية ... ويضم النحو بهذا المعنى مجموعة من الدراسات التي تصنف في علم اللغة الحديث في اطار الاصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة ... لم يضع سيبويه مصطلحات تميز في وضوح قطاعات الاصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة ، فكل هذا يدخل عنده في مجال واحد هو مجال النحو» (٢) .

ثالثاً — الكشف عن العلاقات التركيبية والمباني التحليلية للغة :

اوضح سيبويه ان تركيب الجملة في العربية يقع في ثلاثة اقسام رئيسة :

— اسناد الفعل وعمله في الاسماء والمصادر ، وما يعمل عمله .

— اسناد الاسم واحوال اجرائه على ما قبله .

---

(١) د. محمد احمد ابو الفرج : مقدمة لدراسة فقه اللغة ، ١٢٢ ، ١٢٣ .
د. عبده الراجحي : فقه اللغة في الكتب العربية ، ١٢٧—١٦٩.
(٢) د. محمود حجازي : علم اللغة العربية ، ٦٠ .

ـ الاسناد الذي يعتمد الاداة ويجرى مجري الفصل وما كان بمنزلته ، وهو نوع من الاسناد لم نألفه في كتب النحاة المتأخرين وقد ضم هذا النوع ابواب الحروف الخمسة وكم والنداء والنفي بلا والاستثناء (١) .

ثم صنف كل نوع من الاسناد في اساليب بلحاظ التركيب اللغوي ونوع العمل فيه، فكان للعربية على ما انتهيت اليه في دراسة منهجه اربعة عشر اسلوباً تتسع بفروعها لجميع انواع التركيب اللغوي للجملة في العربية وهو في هذا الاتجاه التركيبي الافقي يستقري المباني التحليلية وانواع الكلم ولنأخذ (المصادر) مثالا على ذلك فقد بدأ يشركها في دراسة الاسماء حيث يتكلم على تعدي الفعل فأنت تقول : درست الكتاب ، وتقول درست دراسةً ثم اصبح الكلام عليها جزءاً يستقل به البحث في مقابل الاسماء في اسلوب ما ينتصب بالفعل المضمر نحو: سقياً ورعياً يعالجها على سمت قولك في الاسم الذي ينتصب بالفعل المضمر نحو قولهم : الناس مجزيون باعمالهم ان خيراً فخير وان شراً فشر ، واخيراً صار الكلام على المصادر من دون غيرها في اسلوب يستقل بها فلا تشركها الاسماء وذلك الاسلوب هو ما ينتصب من المصادر بالفعل بعد تمام الكلام نحو قولك : قتلته صبراً (٢) وهذا الترتيب الدقيق في دراسة المباني التحليلية وهو يتابع التركيب اللغوي للاساليب انموذج واضح لاعتماد سيبويه طريقة التركيب والتحليل معاً هيأ لصاحب الكتاب جادة الصواب في دراسة اللغة من القرن الثاني الهجري وفي دراسة الغربيين اليوم نجد انصار (المدرسة الوصفية التشكيلية) يبدأون تحليلهم من الصوت مروراً بالنظام الصوفي فالنحوي وصولا الى المعاني،وهو تحليل شكلي يستبعد المعاني من التحليل اللغوي ثم يوجه(تشوفسكي)الانظار الى دراسة المعنى واصبحت له

(١) د. محمد كاظم البكاء : منهج كتاب سيبويه ، ١٦ .
(٢) المصدر السابق ، ١٦٩ .

مدرسة لغوية توصلت الى مجموعة من القواعد في التحليل اللغوي سموها (القواعد التحويلية) ولكن الذي حصل ان اعتمدوا المعاني النحوية في التحليل اللغوي فقولك : (الاولاد يلعبون الكرة) يحلل الى : اسم مذكر جمع ، وفعل مضارع لجمع الغائب ، واسم مفرد(١) واخيراً يكتشف (فلسور) ان العلاقات التي ينبغي ان تعتمد في التحليل اللغوي هي علاقات معنوية لانحوية ، فان كان ذلك ماتوصلوا اليه ووقفوا عنده فهم لايزالون على الخطأ في منهجهم فليست العلاقات المعنوية بمستقلة عن العلاقات النحوية فهي معان تمثل قصد المتكلم ويعبر عنها بالعلاقات النحوية فهي معاني الكلام نفسها ، فالحال النحوي يعبر عن جواب قولك : كيف فعلته ؟ وانما النصب فيه لانه وقع فيه الامر قال سيبويه: «هذا باب ماينتصب من المصادر لانه حال وقع فيه الامر فانتصب لانه موضوع فيه الامر وذلك قولك : قتلته صبراً» (٢) وهكذا يساوي المعنى النحوي معاني الكلام .

رابعاً — البحث عن المشترك بين اللغات :

من يتدبر قراءة كتاب سيبويه وهو يدرس نظرية النحو العربي يجد انه يعنى كثيراً بالحقائق الموضوعية والقوانين العامة التي تمثل قدراً مشتركاً بين اللغات فهو يبحث مثلاً عن العلاقة بين صحة التركيب اللغوي ومسألة الصدق والكذب والاستقامة والاحالة فهو يقول: «واما المحال فأن تنقض اول كلامك بآخره فتقول : اتيتك غداً وسآتيك أمس»(٣) ومن الطريف ان بحث « بيرلنج » عن العلاقة بين النحو والمعنى ووقف عند التركيب نفسه في اللغة الانكليزية «ذهب غداً» : « He went tomorrow » (٤) ، ومن مسائل

(١) د. نايف خرما : اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، ٢٠٣-٣٠٦ .
(٢) سيبويه : الكتاب ، ١/٣٧٠هـ .
(٣) سيبويه : الكتاب ١/٢٥هـ ، ١/٨ب .
(4) Burling Man's Many Voices P. 56–57.
انظر : د. نهاد الموسى : نظرية النحو العربي ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

سيبويه التي تعبر عن اهتمامه بالقوانين العامة ماتنبه عليه الدكتور عبدالسلام المسدى في مواضع من كتابه (التفكير اللساني في الحضارة العربية) منها : « والذي يعنينا من كل استقراءآت سيبويه في هذا المضمار ونحن على مسار تحديد الطاقة الاستيعابية في اللغة هو استنباطه لقانون التناسب العكسي بين طاقة التصريح في الكلام وعلم السامع بمضمون الرسالة الدلالية » (١) وامثلة ذلك في الكتاب كثيرة نجدها في ابواب الاشتغال نحو قوله تعالى : « والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات» (٢) فقد ترك ماعمل فيه الاول استغناء عنه لعلم المتلقي بمضمونه (٣) ، ولعل اغلب المباحث التي تتصل بباب « هذا باب مايكون في اللفظ من الاعراض » (٤) وصور التصرف باللغة من التقديم والتأخير والذكر والحذف وغيره يعدّ امثلة لاتساع مباحث سيبويه لما يقع الاشتراك فيه بين اللغات التي تخضع لقوانين علمه تجيز للمتكلم التصرف في اطارها .

ان في علماء الغرب حاجة الى ان يفيدوا من منهج الكتاب ليوفروا على انفسهم هذه الجهود المتكاثرة وتأسيس المدارس اللغوية المختلفة فيبدأون من حيث انتهى النحو العربي في دراسة علم اللغة العام الذي يعنى بالقدر المتشرك بين اللغات ولكن الذي يؤسف عليه اني لم اجد الا قليلاً من الباحثين العرب انفسهم ممن لايتورع في الطعن على منهج « الكتاب » الذي يمثل خلاصة الفكر النحوي لاوائل النحاة ، ومن اشهر الذين دافعوا عن سلامة منهجه الاستاذة الفاضلة الدكتورة خديجة الحديثي التي عنيت بدراسته(٥) واستاذي

(١) د. عبدالسلام المسدي : التفكير اللساني في الحضارة العربية ٣٣٢ ، ٣٣٣ .
(٢) السورة ٣٣ ، الآية ٣٥ .
(٣) سيبويه : الكتاب ١/٧٤هـ ، ١/٣٧ب .
(٤) المصدر السابق ١/٢٤ ، ٢٥هـ ، ١/٨ب
(٥) د. خديجة الحديثي ، سيبويه حياته وكتابه ، ٩١ .
= = ، المدارس النحوية ، ١٠٤—١٠٨ .

الفاضل الدكتور محمد ضاري حمادي الذي كان له فضل الاشراف على الباحث في دراسة (منهج كتاب سيبويه) عند التحضير لرسالة الدكتوراه التي انتهيت فيها الى سلامة منهج الكتاب وبناء ابوابه في ترتيب منطقي سليم(*) ، لقد طعن الباحثون على الكتاب واتهموه بالأضطراب في ترتيب الابواب في حين اعلن المستشرق الانكليزي (كارتر) استاذ اللغة العربية في قسم الساميات في جامعة سدني : « والآن ينبغي ان يكون قد اتضح ان سيبويه كان مفكراً نظاميا ومرتبطاً منطقياً اكثر بكثير مما اقر به ناقدوه حتى الآن» (١) وهكذا ينبغي ان يجد كتاب سيبويه سبيله الى علم اللغة العام بايضاح منهجه والاعلان عن خصائص نظرية النحو العربي فيه،قال عبدالرحمن الحاج صالح: «ويمكن ان نقول بهذا الصدد ان المناهج الحديثة في تحليل اللغات وان كانت قد بلغت شأناً كبيراً لاعتمادها للكثير من الحقائق العلمية الا انها قد تقل قيمة عن المناهج التي وضعها الخليل وسيبويه» (٢) . نفع الله الجميع بعلمهم واغنى الحضارة الانسانية بثمرات جهودهم.

(*) تهيأ الباحث–والحمد لله تحقيق كتاب سيبويه في هدى منهجه الذي انتهيت اليه مفيداً من نسخ خطية لم تعتمد سابقاً وقد اكملت الجزء الاول منه والله اسأل تمام الموفقية .

(1) G. Carter: Twenty Dirhams In Kitab Of Sibawaih, Bsons 35 (1972), P, 405–496.

وانظر : المورد ، المجلد ١٦ العدد الاول ١٩٨٧ ، ١٢٧ .

(عشرون درهماً في كتاب سيبويه) ترجمة وتعليق الدكتورين عبداللطيف الجميلي و حاتم الضامن

(٢) مدخل الى علم اللسان الحديث ، ٤٣–٤٤ .